القسم الأول
أمهات رسول الله ﷺ

تعددت أمهات رسول الله ﷺ:

فواحدة ولدته، وهي آمنة بنت وهب.

وثانية أرضعته، وهي حليمة السعدية.

وثالثة احتضنته، وهي بركة بنت ثعلبة، أم أيمن.

ورابعة أشرفت على تربيته حين كان في كنف عمه أبي طالب هي: «فاطمة بنت أسد الهاشمية».

فأسهمن جميعهن في تنشئة سيد الأمة، وتربيته أفضل تربية، فلم يكن أبرّ منه بهنَّ؛ ولا أوفى لعهودهن. وكيف لا؟! وقد شهد له ربه بقوله: ﴿وإنّك لعلىٰ خلقٍ عظيم﴾[1].

١ ـ آمنة بنت وهب:

نسبها:

وهي بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر[2]. وأمها: كِبَرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر[3]. فنشأت في أسرة عريقة النسب، مشهود لها بالشرف والأدب، وكانت تتسم بالنباهة والبيان، وتعرف بالذكاء وطلاقة اللسان، فهي أفضل امرأة في قريش نسباً ومكانة.

---

(١) سورة: القلم، الآية: ٤.

(٢) سيرة ابن هشام ١/١٥٦.

(٣) سيرة ابن هشام ١/١٥٧.

نذر عبد المطلب والفداء:

وكان عبد المطلب سيد قريش وجد الرسول ﷺ قد نذر لله أن إذا رزقه الله عشرة من الذكور لينحرن أحدهم شكراً لله وتقرباً إليه. وتحقق المرام، وصار لعبد المطلب عشرة ذكور، وبادر إلى تنفيذ نذره، فأقرع بين أولاده ليعلم أيهم سينحر. وخرج القدح على (عبد الله)، أحبهم إليه، فما العمل؟ وأشار عليه وجوه القوم أن يفديه بعشرة من الإبل، وقدم الإبل ثم أقرع بينها وبين ولده، فخرج سهم «عبد لله»، فقالوا لعبد المطلب: زدها عشراً ثم أقرع، ففعل، فخرج سهم «عبد الله»، وظل يزيد في كل مرة عشراً من الإبل حتى بلغت المائة، وعندما أقرع بينها وبين ولده، وقعت القرعة على الإبل، فسرّ عبد المطلب لذلك سروراً عظيماً ونحر الإبل المائة فداء ولده الحبيب، وعمت الفرحة قريشاً بنجاة ابن سيدهم عبد المطلب.

خطبة عبد المطلب لها لولده عبد الله:

كان «عبد المطلب» يريد أن يسعد بولده ويزوجه، ولم يجد بين نساء قريش وكرائمها خيراً من «آمنة بنت وهب»، فخطبها إليه، وتزوجها (عبد الله).

رؤيا آمنة:

وفي أول ليلة جمعتهما، استيقظت «آمنة» من نومها فزعة جزعة، جرَّاء رؤيا عرضت لها في المنام، فحدثت زوجها عبد الله أنها رأت كأن شعاعاً من النور خرج منها، فأضاء الدنيا من حولها، حتى تراءت لها قصور بصرى في بلاد الشام، وسمعت هاتفاً يقول لها:

(يا آمنة! لقد حملت بسيد هذه الأمة).

ولم يكن أمام الزوج إلا أن يهدىء روعها، ويخفف من فزعها، وراحت «آمنة» تفكر فيما يخبئه لها القدر. وبينا هي غارقة في تفكيرها تذكرت أن (سودة بنت زهرة الكلابية) وهي كاهنة من قريش، كانت قد أخبرت قبيلتها (بني زهرة) من قبل أن فيهم نذيرة أو تلد نذيراً، ولما عرضوا بناتهم عليها أشارت إلى «آمنة».

وأعلمها زوجها «عبد الله» أن «بنت نوفل بن أسد القرشية» أخت «ورقة بن نوفل» عرضت نفسها على «عبد الله» قبل أن يتزوج «آمنة» فرفض، ولما رآها يوم عرسه أعرضت عنه، وحين سألها عن السبب، قالت: بالأمس رأيت فيك نوراً أحببت أن يكون فيَّ، واليوم، أراه قد فارقك إلى غيري، فلم تعد لي بك حاجة.

سفر عبد الله للتجارة:

وبعد أيام قلائل دخل «عبد الله» على «آمنة» مودعاً، ليلحق بالقافلة المتجهة إلى بلاد الشام، فانتابها قلق شديد عليه، وأوجست في نفسها خيفة.

حملها:

وخلال غياب زوجها بدأت تظهر عليها عوارض الحمل، وودَّت لو طارت إليه بالبشرى، ولكن، هيهات!

وفاة زوجها عبد الله:

وبينما كانت تعد الليالي والأيام، وتترقب عودته بفارغ الصبر، دخل عليها والدها بصحبة «عبد المطلب» وأعلماها أن «عبد الله» زوجها، تخلف عند أخواله في «يثرب» لمرض ألَّم به، وطلب منها الصبر والدعاء له. لكن «عبد الله» كان على موعد مع الموت، ولما جاءها نعيه، وقع الخبر عليها وقوع الصاعقة، وسقطت في لجة الأحزان.

ولادتها:

وفي ليلة الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل، كانت «آمنة» على موعد مع الفرح! إنها ستلد، وستجد في مولودها عزاء عن الزوج الذي فقدته وشيكاً، ولمَّا يبلغ الثامنة عشر ربيعاً.

ودقت ساعة المخاض، ولم تشعر «آمنة» حين وضعته، إلا أن نوراً ساطعاً خرج منها، وملأ ما حولها، ولفها مع وليدها من كل جانب. ولما عرضت عليه ثديها لترضعه أبى أن يلتقمه، فأرسلته إلى البادية ليتم رضاعه، وعاد إليها بعد

عامين، فأفرغت جهدها في العناية به، والاهتمام في تربيته، حتى بلغ السادسة من العمر.

وفاتها:

وذات مرة، بينما كانت عائدة إلى مكة من زيارة قبر عبد المطلب، وأخواله بني عدي بني النجار أدركها المرض، ولم تلبث أن توفيت في منطقة تدعى «الأبواء» بين مكة والمدينة، ولكن كان خير عزاء لها أنها خلَّفت سيد البشر ﷺ.

٢ـ حليمة ونسبها:

اسمها ونسبها:

وهي بنت عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قبيصة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن[١].

زوجها:

وكان زوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن قبيصة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن[٢].

بعد أن وضعت «آمنة بنت وهب» وليدها، أرادت أن ترضعه؛ بيد أنه رفض على مدى يومين أن يلتقم ثديها، وفي صباح اليوم الثالث دخلت عليها «ثويبة» مولاة أبي لهب، ولما علمت بأمرها، أخذت الطفل منها، ما أن عرضت ثديها عليه حتى بدأ يرضعه، وكانت فرحة «آمنة» لا توصف، وفارقها القلق الذي هيمن عليها، وثويبة هذه، أرضعت من قبل عمه حمزة بن عبد المطلب[٣].

قدومها لمكة للحصول على رضيع:

وبعد ثمانية أيام مضت على مولده، وصلت إلى مكة نسوة من بني سعد بن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٦٠.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٦١.
(٣) عيون الأثر لابن سيد الناس، والاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٣٧٠.

بكر ينشدن الرضعاء، للاستعانة بما يتلقين من أجر على مطالب العيش. وكانت عادة أهل مكة استرضاع أولادهم لدى نساء البادية طلباً للصحة، والتماساً للفصاحة، وقد أثّر عن الرسول ﷺ أنه قال: «أنا أفصح من نطق الضاد ـ بيد أني من قريش، واسترضعت من بني سعد».

وكان بين القادمات إلى مكة، حليمة وزوجها الحارث وابنها الصغير عبد الله. وهاهي ذي حليمة تروي حكاية إرضاعها رسول الله ﷺ فتقول:

[كان ذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً، فخرجت على أتان لي قمراء ومعنا شارف لنا، والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع، وما في ثدي ما يغنيه، ومافي شارفنا ما يغذيه.

وقدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما من امرأة إلا وقد عرض عليها «ابن آمنة» فتأباه، إذ قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم؟ وما عسى أن تصنع أمه وجده؟ فكنا نتركه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري. فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي (زوجها): والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم أجد رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة.

ظهور البركة في ثديها وناقتها:

قالت: فلما أخذته، رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء، من لبن. فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة.

قالت: يقول صواحبي حين أصبحنا: أتعلمين يا حليمة؟ لقد أخذتِ نَسَمةً مباركة.

فقلت: والله لأرجو ذلك.

سبقها لصواحبها:

وتتابع حليمة حديثها فتقول: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي:

يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك، أربعي (انتظري) علينا، أليست هذه أتانكِ التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها لشأناً.

طلب قومها إلى رعيانهم الرعي حيث ترعى غنم حليمة:

ثم قدمنا منازلنا من بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم أسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب.

انتهاء مدة الرضاع ورغبة حليمة بمد فترة بقائه لديها:

فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفَصْلَتُهُ، وكان يشبُّ شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتين حتى كان غلاماً جفراً (شديداً).

وتتابع قائلة: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص على شيء على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه وقلت لها: لو تركت بني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، ولم نزل بها حتى ردته معنا].

وعادت حليمة وزوجها الحارث بصحبة ولدهما بالرضاعة، وشيعتهم «آمنة» بقلب خافق، وعينين دامعتين، لأن مجيء صغيرها (محمد) هيّج عواطفها، وأثار

ذكرياتها وفجأة ينقلب من حيث أتى، ويخلف في الدار التي بدأت تنبض بالحب والحياة وحشة شديدة الوطأة.

ووصلت حليمة وطفلها المبارك إلى أرض هوازن، وقلبها يخفق من شدة الفرح، فقد كانت تتمنى أن تعود به لأنها أحبته من كل جوارحها، وكذلك زوجها الحارث كان سعيداً برؤيته لما كان يرى من بركته، وتحقق حلمهما معاً.

إعادته إلى أمه آمنة وإبلاغها بحادثة شق بطنه:

وبعد بضعة أشهر رجعت حليمة إلى آمنة، ومعها ابنها، ولم تكد آمنة تراه حتى أخذته بين يديها وضمته إلى صدرها بحنان بالغ، ولم تخف عجبها من هذا الرجوع المفاجىء فسألت حليمة عن السبب وقلت لحليمة:

ما أقدمك به؟ وقد كنت حريصة على أخذه، وعلى مكوثه عندك!

فردت حليمة وقالت:

رجعنا به، فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بَهْمٍ لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه مسرعاً فقال لي ولأبيه (من الرضاعة):

ذاك أخي القرشي، قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقا بطنه، فهما يسوطانه (يضربانه)، فخرجت أنا وزوجي نحوه، فوجدناه ممتقعاً وجهه، فأكرمتُه والتزمه أبوه، فقلنا له: ما لك يا بني؟

فقال: «جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني، وشقا بطني، فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو».

تقول حليمة: فرجعنا به، إلى خبائنا. وقال لي أبوه:

يا حليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام أصابه شيء، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به. فجئناك به كما ترين.

ـ قالت آمنة: يا حليمة، أفتخوفت عليه الشيطان؟

ـ نعم.

ـ كلا، والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لِبُنيّ لشأناً، أفلا أخبرك خبره؟

ـ بلى.

قالت آمنة: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نوراً أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام، ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخفّ عليَّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء، دعيه وانطلقي راشدة.

وودعته حليمة والدموع تنهمر من عينيها من ألم الفراق، كفاها فخراً أن نالت شرف أمومته بالرضاع. ولكن رسول الله ﷺ لم ينسَ فضل أمه (مرضعته) ولا قبيلتها، وكانت وقفة نبيلة ما كان أحرى منه بها!

رد الرسول ﷺ وأصحابه سبي هوازن إكراماً لها:

فعندما عاد ﷺ مؤيداً بنصر الله من غزوة الطائف غانماً، ومعه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، وكذلك من الإبل والشياه الشيء الكثير، أتاه وفد هوازن ممن أسلموا وقال قائلهم: يا رسول الله! إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وخواصك.

ودخل هذا المقال قلب رسول الله ﷺ الكبير، واستجاب سريعاً لشفاعتهم بالأم التي أرضعته حليمه، وقال لوفد هوازن:

«أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا: إن نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله، في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم».

ولما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، قام رجال هوازن، وتكلموا بالذي أمرهم به رسول الله ﷺ.

فقال النبيّ ﷺ: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم».

وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

وقال الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

فَرَدُّوا لهوازن أبناءهم ونساءهم، وذلك اعترافاً منه ﷺ بما لأمه من الرضاعة عليه من الفضل، وتقديراً لما فعلته حليمة السعدية من أجله.

بسط الرسول ﷺ رداءه لتجلس عليه:

روى أبو داود في سننه، عن أبي الطفيل بن عامر بن واثله الكناني قال: «رأيت النبي ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة، وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجزور، إذ أقبلت امرأة دنت إلى النبيّ ﷺ، فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هي؟ فقالوا: هذه أمه التي أرضعته»[1].

٣ ـ بركة بنت ثعلبة (أم أيمن):

اسمها ونسبها:

بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمر بن النعمان الحبشية.

زوجها:

عبيد بن الحارث الخزرجي، وقد تزوجها بعد أن أعتقها رسول الله ﷺ، فولدت له «أيمن» وأصبح له شأن كبير في تاريخ الإسلام، فقد هاجر وقاتل، وشارك رسول الله ﷺ في جهاد ضد المشركين، حتى رزق الشهادة ـ رضي الله عنه ـ يوم حنين.

نداء النبي ﷺ يا أمة:

كانت أم أيمن مولاة لعبد الله بن عبد المطلب، والد رسول الله ﷺ، ولما توفي عبد الله ووضعت آمنة مولودها، أخذته أم أيمن، وظلت محتضنة له حتى بلغ أشده، وقد بذلت وسعها في تربيته والإخلاص إليه، حتى غدا رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب.

«أم أيمن، أمي بعد أمي»، وكان ﷺ حين يناديها، يقول: «يا أمه»[١].

ولما تزوج رسول الله ﷺ السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، أعتق أم أيمن، براً بها ووفاء لها واعترافاً بمعروفها، وتقديراً لإخلاصها في تربيته.

إسلامها وهجرتها إلى الحبشة ثم المدينة:

أعلنت أم أيمن إسلامها منذ بداية الدعوة، وحسن إسلامها، وكانت صاحبة الهجرتين برفقة النسوة اللائي هاجرن إلى الحبشة أولاً ثم إلى المدينة، وكانت في عداد اللواتي بايعن رسول الله ﷺ[٢].

وكان إسلام «أم أيمن» المبكر، سبباً حمَّلها الكثير من الآلام جراء اضطهاد المشركين لها وإلحاقهم أفدح الأذى بها، ولكن الله ثبت إيمانها وأمرها بعونه، وبقيت محافظة على إسلامها.

وحين اشتد الضغط على المسلمين في مكة، وجاوز المشركون حدهم في تعذيبهم وإلحاق الأذى بهم، أذن رسول الله ﷺ لأتباعه بالهجرة إلى الحبشة. وفرت معهم بدينها، ثم أتت إلى مكة، وصبرت على البلاء والتعذيب، حتى جاء الفرج من الله، وهاجرت مع المهاجرين إلى المدينة المنورة برفقة الحبيب الأعظم سيدنا محمد ﷺ.

كرامتها:

لقد هاجرت ماشية، صائمة، قائمة، ولم يكن لديها زاد ولا شراب، فاشتد عليها العطش وأجهدها من فرط حرارة الصحراء، حتى إذا غابت الشمس وأزفت ساعة الإفطار، لم تغفل عنها عين الذي في السماء فأدلى لها دلواً ـ دون صواحبها المهاجرات معها ـ وظلت تشرب منه حتى ارتوت.

ولقد تعرضت لصوم الهواجر، ولكنها لم تعد تعطش بعد تلك الشربة التي

---

(١) الإصابة ١٣/ ١٧٧، طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٣، المستدرك ٤/ ٦٣.

(٢) أسد الغابة ٥/ ٥٦٧.

خصها به الله. وكانت تطوف بالشمس كي تعطش، ولكن العطش لم يعد يلقاها[١].

لقد حظيت «أم أيمن» عند رسول الله ﷺ بمكانة خاصة، وكان حين ينظر إليها، يقول:

تبشير النبي ﷺ لها بالجنة:

«هذه بقية أهلي»[٢]. وقد بشرها النبيّ ﷺ بمقعدها من الجنة بقوله: «من سره أن يتزوج امرأة من الجنة فليتزوج أم أيمن»[٣].

زواج زيد بها:

ولما سمع «زيد بن حارثة» مقالة رسول الله ﷺ، خطبها من رسول الله ﷺ، وعقد عليها، وتزوجها، أنجبت له «أسامة بن زيد»، رضي الله عنهما.

عسر لسانها:

وكان في لسانها لثغة وعسر يجعلها تختصر أحرف بعض الكلمات، وأرادت يوم حنين أن تدعو بالنصر للمجاهدين المسلمين فقالت: (سبت الله أقدامكم)، فقال لها رسول الله ﷺ: «اسكتي يا أم أيمن فإنك عسراء اللسان»[٤].

ودخلت ذات يوم على رسول الله ﷺ مسلِّمة، فقالت:
(سلام لا عليكم)، فرخص لها رسول الله ﷺ أن تقول: السلام[٥].

مداعبة النبيّ ﷺ لها:

وكان ﷺ يحب ممازحتها ومداعبتها كثيراً، فجاءته ذات مرة وقالت:
يا رسول الله احملني، فقال ﷺ:
«أحملك على ولد الناقة»، فقالت: يا رسول الله، إنه لا يطيقني، ولا أريده.

---

(١) الإصابة ١٣/ ١٧٨.
(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٣.
(٣) الإصابة ١٣/ ١٧٨. طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٣. حلية الأولياء ٢/ ٦٨.
(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٤.
(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٥.

فقال ﷺ: «لا أحملك إلا على ولد الناقة». وكانت مداعباته لها ﷺ لا تجاوز حدود الحق، لأنه كان لا يقول إلا حقاً، فالإبل كلها ولد النوق[١].

وإضافة إلى كرامتها لدى الله عزّ وجلّ، ومحبة النبيّ ﷺ لها، والصفات الحميدة التي كانت تتمتع بها، وعلى الرغم من تقدم سنها، وضعف صحتها، فقد أبت ـ رضي الله عنها ـ أن تتخلف عن أن تشارك المسلمين في مجاهدة أعداء الله، وشاركت نبي الله ﷺ، في معركة «أُحد» وأسهمت مع النسوة المسلمات في سقاية الجرحى ومداواتهم، كما رافقت النبيّ ﷺ يوم اتجه إلى خيبر، وبذلت ما في وسعها.

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، حزنت عليه «أم أيمن» أشد الحزن وسكبت أعزّ الدموع.

وروي عن أم أيمن رضي الله عنها قالت: «بات رسول الله ﷺ في البيت، فقام من الليل فبال في فخارة، فقمت وأنا عطشى، لم أشعر، ما في الفخارة، فشربت ما فيها. فلما أصبحنا قال لي رسول الله ﷺ: يا أم أيمن أهريقي ما في الفخارة، فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق شربت ما فيها، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: أما إنه لا يتجعن بطنك بعده أبداً»[٢].

حزنها بعد وفاة رسول الله ﷺ:

وقد روى أنس رضي الله عنه قال: «قال أبو بكر رضي الله عنه، بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، كما كان رسول ﷺ يزورها. فلما انتهينا إليها بكت. فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ. فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ. ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها[٣].

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٤.
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢/ ٦٧ ـ ٦٨ الإصابة ١٣/ ٧٧ طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٤.
(٣) أخرجه مسلم برقم ٢٤٥٤/ ١٠٣ في فضائل الصحابة.

حزنها على عمر رضي الله عنه:

ويوم علمت بمقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بكت أم أيمن رضي الله عنها وقالت: (اليوم وهى الإسلام)[١].

وفاتـها:

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه أسلمت «أم أيمن» روحها الطاهرة إلى بارئها، فصلى عليها، وواراها في البقيع، بعد مقتل عمر رضي الله عنه بعشرين يوماً، رحم الله أم أيمن وجعل الجنة مثواها.

٤ ـ فاطمة بنت أسد بن هاشم: القرشية الهاشمية.

اسمها ونسبها:

والدها: كان أبوها أسد بن هاشم بن عبد مناف.

زوجـها:

عم رسول الله ﷺ، أبو طالب. وهي أم ربيب النبيّ ﷺ علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، وأم إخوته: طالب وعقيل وجعفر، وأم هانىء وجمانة، وريطة أبناء أبي طالب.

تربيتها للنبي ﷺ:

بعد وفاة «آمنة بنت وهب» أم النبيّ ﷺ، كفله عمه أبو طالب، وقد أشرفت فاطمة زوجته على تربية الطفل اللَّطِيم ـ الذي توفي أبواه ـ فاحتضته دون أولادها بأحسن رعاية، وحافظت عليه طيلة حياة عمه أبي طالب، حتى كانت تفضله على أبنائها في بعض الأحيان، وعاش ﷺ بين أبناء عمه في ظل أكرم رعاية، وأحسن معاملة.

كانت فاطمة عميقة الإيمان، ذات شخصية فذة، وخلق حميد، وقد ورثت هذه الصفات التي تحلّت بها إلى أولادها، ولا سيما علي بن أبي طالب كرم الله

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٦، والإصابة ٨/ ٢١٤.

وجهه. ولم يكن ينقصها لتكتمل إنسانيتها إلا الإيمان.

وبعد وفاة أبي طالب، شرح الله صدرها للإسلام، وأنار لها سبيل الإيمان، فدخلت في دين الله، وبايعت رسول الله ﷺ، وهاجرت مع المهاجرين، إلى المدينة، ومضت تبذل أقصى الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله وتوطين دعائم الإسلام الحنيف.

وكان رسول الله ﷺ يعتبرها مثلاً للإخلاص وقدوة للوفاء بالعهد، وكان يكثر من زيارتها ويقيل في بيتها في بعض الأوقات؛ وأقامت فاطمة بنت أسد في المدينة المنورة يحضها أولادها، تلحظهم عناية الله ورعاية مصطفاه ﷺ، وشاركوا رسول الله ﷺ مشاهده وغزواته، ما عدا جعفر بن أبي طالب لأنه كان مهاجراً إلى الحبشة.

فرحها بزواج ابنها علي رضي الله عنه من فاطمة الزهراء:

وكانت الفرحة عارمة عند فاطمة بنت أسد حين أسرّ إليها ابنها علي رضي الله عنهما، نبأ خطبته فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، ولما جمعتهم الدار جميعاً، خشي علي رضي الله عنه أن ينشب خلاف بين زوجه وأمه، ومن أبر من علي بأمه، ومن أوفى لزوجه وأبيها؟ فقال لأمه: لو كفيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء، والذهاب في الحاجة، وكفتك في الداخل، الطحن والعجن، واستحوذ رضي الله عنه بذلك رضا الطرفين.

وحين أزفت ساعة الرحيل، جادت فاطمة بنت أسد بأنفاسها الأخيرة في المدينة المنورة ورسول الله ﷺ ما زال حياً.

تكفين الرسول ﷺ لها في قميصه ونزوله قبرها:

وقد روي عن علي بن الحسين أنه قال: حدثني أبي قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، يقول:

«لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم، كفنها رسول الله ﷺ في قميصه،

وصلى عليها، وكبر عليها سبعين تكبيرة، ونزل في قبرها، فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوي عليها، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان، وكان قد جثا في قبرها».

وفي رواية أخرى: «إنه اضطجع معها في قبرها»:

ولما ذهب، اقترب منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال له متسائلاً:

يا رسول الله! رأيتك تفعل لهذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد من قبل:

فقال ﷺ: «يا عمر. إن هذه المرأة كانت بمنزلة أمي التي ولدتني، إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة، وكان يجمعنا على طعامه، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا «فأعود به».

وروي عن عمر بن أبي طالب كرم الله وجهه، أنه قال:

«إن رسول الله ﷺ كفن أمه فاطمة بنت أسد في قميصه، واضطجع في قبرها، وجزاها خيراً، فقالوا:

يا رسول الله! ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه!

فقال رسول الله ﷺ: «إنه لم يكن بعد أبي طالب أبرّ بي منها! إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت في قبرها ليهون عليها عذاب القبر». رواه ابن عباس رضي الله عنه.

وقد هيأ قرب فاطمة بنت أسد رضي الله عنها من رسول الله ﷺ، لها أن تكون مصدراً صحيحاً، لنقل أحاديثه، والرواية عنه، فقد حفظت الكثير من أحاديث المصطفى ﷺ، وروت عنه ﷺ ستة وأربعين حديثاً، وأخرج له في الصحيحين حديث واحد متفق عليه. رحم الله الصحابية الجليلة «أم علي» فاطمة بنت أسد الهاشمية، المشهود لها بالجود والكرم، وجزاها عن رعايتها لرسول الله ﷺ خير الجزاء، وأنزلها نزلاً حسناً.